تصاعد الاحتجاج وتراجع السلطة

ورد كاسوحة *

ما يحدث الآن هو شلّ للسلطة من مركزها، فبعد تجريب خيار تحريك المناطق ودفعها إلى الانتفاض تبيّن أن الحصيلة لم تكن على قدر التوقعات، ولهذا الأمر أسباب موضوعية تتصل بطبيعة حراك المناطق الذي مهما تطوّر يبقى بعيداً عن الاشتباك المباشر مع السلطة وأجهزتها. وبما أن هذا الاشتباك هو المفتاح في عملية المواجهة القائمة بين الحراك والسلطة يصبح الاتكال عليه هو المعيار لجدية أيّ مواجهة أو فاعليتها. بهذا المعنى فإنّ الاعتماد في المرحلة المقبلة سيكون على الحراك المركزي «حصراً» ليس لأنه أفضل تنظيمياً من سواه وإنما بسبب فاعليته التي تبدو مضاعفة قياساً إلى الآخرين. وقد اتضحت لنا هذه الفاعلية من خلال القدرة على توجيه ضربات «قاصمة» إلى مفاصل عمل السلطة. وهو بالضبط ما رأيناه الأسبوع الماضي، حيث أخذت هذه الضربات منحىً تصاعدياً، ولم تعد تعتمد على الوتيرة المنخفضة من الاستهداف، إذ بعد منع السلطة من تدفيع الناس ثمن النزهة على الكورنيش جرت استعادة منطقة الدالية - الروشة من الشركة التي أُعطيت عبر الاحتيال القانوني حقّ استثمارها. وهذا التصعيد له طابع مستمرّ ومتدحرج، فهو لا يضرب في مكان ثم ينسحب منه تاركاً المجال للسلطة كي تمحو أثر هذا الضرب وإنما يربط بين الفعل واستمراريته، مهيئاً بذلك الأرض لعملية إشراك المجتمع في «إدارة مرافقه» التي نهبتها السلطة واستولت عليها بالقوة والاحتيال القانوني. هكذا، لم يكتفِ الثوريون بهذه الاستعادة التي تحمل طابعاً رمزياً (من خلال إزالة السياج الذي وضعته شركة سوليدير حول الدالية بالاتفاق مع الدولة) بل أطلقوا وعوداً عملية بالسهر على المنطقة ومنع الشركة المستولية عليها من معاودة تسويرها بالاتفاق مع أجهزة السلطة.

وهذا الفعل له أثر لدى الناس يتعدّى الطابع الرمزي الذي يوشر العمل به، فأنت حين تستعيد ملكاً عاماً منهوباً وتنسب إلى نفسك فعل تحريره تصبح مسؤولاً إزاء الشرائح العريضة التي أولتك اهتمامها واعتبرتك خياراً بديلاً من الإدارة التي كانت تمثلها السلطة. والمسؤولية هنا تعني تطوير الفعل وتحويله إلى نهج يمكن من خلاله إقناع هذه الشرائح بالانضمام إلى الحراك ليس فقط حين يكون التظاهر سلمياً بل أيضاً حينما تحصل المواجهات مع السلطة وتكون الحاجة ماسّة إلى مدد يحمي المتظاهرين ويردّ عنهم اعتداءات الأجهزة الأمنية. الكتلة البشرية في هذه الحالة هي التي تحمي نواة الاحتجاج وتردّ عنها اعتداءات السلطة، وعدم حصول ذلك في عملية استعادة الدالية لا يعني أنّ السلطة ستتغاضى في كلّ مرة، وتترك الناس لانتصاراتها الصغيرة. هي تعرف أن هذه الانتصارات ستتزايد مع الوقت وكلّما تزايدت أصبحت قدرتها على الاحتواء أقلّ من السابق، فبعد إذعانها للثوريين في الدالية انتقلت مجموعة أخرى منهم في اليوم التالي لاحتلال مبنى الواردات في وزارة المال وكادت المجموعة لولا تدخّل القوى الأمنية تحقّق مبتغاها من السيطرة على هذا المرفق الحيوي. وهذا يعني أنّ التراكم الذي يحاول الحراك إحداثه قد بدأ يؤتي أكله، فمباغتة مبنى الواردات هو ثاني تراجع للسلطة في أقلّ من يومين أمام حركة الاحتجاج التي تقودها حركات يسارية (وبدرجة أقلّ ليبرالية) وتحقّق من خلالها انتصارات جزئية على النظام.

الانتصارات هذه بدأت تُحدِث انهيارات داخل بنية السلطة، حيث أصبحت عاجزة عن الاحتواء، وحين تريد ممارسته تفشل كلياً أو تجد نفسها في مواجهة قطاعات ثورية تعرف متى تواجه ومتى تنسحب وكيف تدير اشتباكاً محدوداً معها. هكذا تعمل «الثورة» عموماً، فهي من حيث المبدأ فعل قائم على التراكم، وهذا التراكم يقوم في البداية على عمليات هدم متواصلة لبنى السلطة، وحين ينتهي الأمر وتصبح هذه الأخيرة مشلولة تماماً تبدأ «الثورة» باحتلال الأماكن التي أظهرت السلطة عجزاً عن إدارتها، وقد تكون هذه الأماكن مُحتلّة أصلاً من شركات أو إدارات بالاتفاق مع السلطة كما هي الحال في منطقة الدالية - الروشة أو الزيتونة باي. في هذه الحالة لا تكون «الثورة» قد احتلّت المكان بالمعنى المادي المباشر، وإنما أعادته إلى أصحابه الأصليين، وهذا لا يدخل في إطار الهدم الذي تمارسه الثورات عادةً، ولذلك تبدو

في الأيام المقبلة لا بد من معاودة التركيز على استقطاب الناس إلى الحراك (هيثم الموسوي)

سوريا... كيف تحوّلت بين الشيوعيّة والشيعيّة!

عبدالمعين زريق *

لعلّ السياقات التي تجري بها الأحداث الحالية في سوريا، منذ سنوات الحرب عليها، لتغيير موقفها ودورها الجيوسياسي المعاند والمعاكس، وضمّها إلى الركب الأميركي، في زمن أفوله عن المنطقة، تمثل فصلاً «تنفيذياً» ثانياً جديداً لأحداث مشابهة مرت على سوريا في أواسط الخمسينيات، وبلغت ذروتها في عام 1957، الذي اعتبر عام أزمة سياسية حادة، حيث كان المطلوب إلصاق تهمة الشيوعية بالطبقة السورية الحاكمة، والمجتمع السوري، وفق رواية مضللة فرضت على المحيط العربي والعالم، رواية مشابهة لهذه الرائجة حالياً، حول أن سوريا، بقضها وقضيضها، قد أصبحت شيعية فارسية، وصار المعسكر الأميركي الغربي، بتوابعه وأذياله ووكلائه الإقليميين، وقتئذٍ، مضطراً لخوض حروب عبر جوار سوريا جميعاً، لانتزاعها من الحضن الشيوعي السوفياتي.

إنّ الفصل الثاني، الذي ينجز حالياً لانتشال سورية من المحور المقاوم، (والحرب بأهدافها المكشوفة للسيطرة على القرار السوري الوطني، وتفتيت كيانها وتجزئته)، ومحاولة فصلها عن إيران، والأذرع المقاومة العربية في فلسطين ولبنان والعراق، لا يعدّ أمراً مستحدثاً، أو مبتكراً في السنوات الأخيرة، أو أنه حدث وفق تدفق الأحداث الطبيعي «للثورة السورية» بعفوية، بل شكّل الجوهر الرئيس لمئات الدراسات الأميركية والغربية، طوال التسعينات، وبداية القرن الجديد، وإن ازدادت بعد تعثر مشروع إطلاق ثورة ملونة في إيران، وبعد الفشل الذريع في سحق المقاومة في لبنان، 2006، وفي فلسطين 2008-2009، بالقوة النارية، والحروب القاسية، وبعد فشل محاولة الاحتواء الغربية لسوريا عبر الثلاثي (فرنسا، تركيا، قطر).

كانت حشود القوات التركية والأردنية والإسرائيلية على الحدود السورية في قمة التأهب. أحيطت سوريا بالجيران والخصوم الألداء كما السور المعادي. صار الداخلون إلى سوريا، والخارجون منها، من الإعلاميين العالميين، والسياسيين الدوليين، يحاولون التأكد من أمر واحد: هل أصبحت سوريا قلعة الشيوعية في المنطقة، وستقوم بتصديرها إلى العالم العربي؟

اجتمع الرأي العام العالمي، وضخت رواية طاغية، عن أنّ سوريا تحولت بالكامل إلى الشيوعية، وبات على أميركا والغرب، ووكلائهما في المنطقة، العمل على تحويلها عن ذلك بكل الطرق، ولو بالقوة العسكرية. انبرى لهذا العمل كل الخليط المحيط بسوريا، نظام عدنان مندريس في الشمال السوري، نظام الملك حسين في الجنوب السوري، وكذلك الأنظمة التي انضمت لحلف بغداد (في لبنان والعراق) بالإضافة إلى الكيان الصهيوني.

وسواء كانت تهمة سوريا «الشيعية» أم «الشيوعية»، فواضح أن المنفذين الإقليميين، الذين تولوا سابقاً، ويتولون حالياً، استرجاعها بالقوة المسلحة، هم ذاتهم، لم يتخلف في الفصل الأخير إلاّ العراق «الرسمي» الحالي، بينما انضمت قطر (قاعدة أميركا في المنطقة) لحلقة المتآمرين على سوريا، في حين لم تكن شيئاً مذكوراً على الخريطة، بينما يعّد تحوّل دولة مصر من موقف الداعم للدولة السورية، بموقف قومي صلب في الأزمة السابقة، إلى موقع المهاجم، ثمّ المراقب، ثم المتذبذب حالياً، عاملاً مؤثراً جداً في الفارق المقارن بين الفصلين.

سوريا بلد غامض، مشاكس، صعب الانقياد، يبدو بشكل دائم لغزاً أشبه بالطلاسم للسياسيين الغربيين. كانت سوريا موقع تنافس بين مصر، والعراق، والهاشميين في الأردن، وآل سعود في الخليج، تؤثر فيهم، ويؤثرون بها، ففيها انقلب الجيش على النظام القائم عام 1949 بسبب نكبة احتلال فلسطين، وتأسيس دولة الكيان الصهيوني عام 1948، فأصبح ذلك سنّة في الإقليم، وشاعت الانقلابات على أنظمة الحكم، وانتشرت الثورات «العسكرية» في الدول المحيطة تطلب رؤوس حكامها التقليديين. وفيها دخل أول نائب شيوعي في الشرق إلى البرلمان، ومنها صدر أكبر رصيد ثقافي عروبي، قدمته سورية عبر الأحزاب القومية، فطالما اعتبر السوريون

> **سوريا بلد غامض، مشاكس، صعب الانقياد، يبدو لغزاً أشبه بالطلاسم للسياسيين الغربيين**

بلدهم منطقة «مؤقتة» في طريق بلد أوسع متشكل على طريق وحدة عربية كبرى. كانوا يعتبرونه أمراً واقعاً، مقبول مؤقتاً. ويعود هذا الشعور لإرث قديم شكلته سوريا الكبرى، ويرجع، في مصدره القريب، للحركة القومية العربية، التي حاربت «التتريك» في فترة الحكم العثماني، حيث شكلت بلاد الشام مركز المقاومة، والأحلام العربية في التخلص من النير العثماني. كان ظاهراً أن القوميين، وهم يشاهدون سوريا تصبح جذعاً بدون أطراف، بعد تقسيمها في عام 1922 إلى أربعة بلدان، وجزء سليب، أصبح هدفهم الرئيسي الانتصار للقومية العربية، وهاجسهم الوحدة العربية.

بعد فشل فرنسا وبريطانيا في عدوان السويس على مصر، وبروز «الخطر» الشيوعي في الدول العربية، أعلنت أميركا مبدأ «أيزنهاور» لوقف النفوذ الشيوعي، ودعم الدول الشرق أوسطية التي تتهددها الأفكار الشيوعية، وسمح باستخدام القوات العسكرية الأميركية، وقام وزير الخارجية، دالس، بإنشاء تحالفات لصدّ تقدّم الشيوعية إلى بلدان الشرق والعالم العربي.

بدا عام 1957 وكأن سوريا تغير مسارها، من سيطرة الدول الغربية، إلى دولة «شيوعية»، والحقيقة أن القوميين في سوريا كانوا قد كرهوا السيطرة الغربية الطويلة على البلد، وكان شعورهم القومي عارماً، وكان ثمة تغيراً ملحوظاً يحدث في تاريخ سوريا، في ما دعي «أزمة صيف 1957» - بحسب رواية باتريك سيل، في كتابه الصراع على سوريا [1945-The Struggle for Syria1958].

كانت الانتخابات البرلمانية السورية، بنتائجها النزيهة، قبل ذلك قد أكدت الأمور التالية : - فوز البعث كممثل عن غالبية الجماهير.

- خسارة حزب الشعب أنهت مشروع الهلال الخصيب والاتحاد مع العراق، وأفقدت الأمل لمؤيدي المشروع في النجاح بالطرق السلمية.

- معاداة أميركا جاءت بخالد بكداش وخالد العظم ومعروف الدواليبي، وصورت الصحف الأميركية أن سوريا صارت زعيمة الشيوعية في الشرق.

- تكريس الحساسية الوطنية، والاستقلال الوطني، ورفض كل أنواع الأحلاف مع الغرب.

- التطلع نحو مصر عبد الناصر التي كانت توقّع الاتفاقية مع بريطانيا للجلاء عن مصر.

فقام خالد العظم، وزير الدفاع، بإجراء معاهدة اقتصادية طويلة الأمد مع الاتحاد السوفياتي، وتمّ طرد ثلاثة دبلوماسيين أميركيين (الملحق العسكري روبرت مالوي، والسكرتير هوارد ستون، ونائب القنصل فرانسيس جيتون) بتهمة التآمر لإسقاط الحكم، (وكان هؤلاء أول دبلوماسيين أميركيين توجه لهم تهمة التآمر للإطاحة بحكومة عربية منذ الحرب العالمية الثانية)، وأجريت تغييرات في الرؤوس العسكرية السورية المقربة من واشنطن، وتمّ استبدالهم بضبّاط مقربين من السوفيات، فجنّ جنون أميركا، وأعلنت أنها ستطبق «مبدأ أيزنهاور» في ردّ العدوان عن سوريا من الخطر الشيوعي.

كانت تركيا مندريس في عام 1957 قد أصبحت «جندرمة الإمبريالية»، ووقعت تحت السيطرة الأميركية، وأصبحت تنفذ أوامرها، وتهدد سوريا بالتدخل بعد الاشتراك مع أميركا، والسعودية، والأردن، والعراق، ولبنان، الموافقون على مبدأ أيزنهاور، حيث بدأت تركيا، من منتصف الخمسينات، تهدد بدخول سوريا عسكرياً،

الأخبار
al-akhbar

■ رئيس التحرير - المدير المسؤول: ابراهيم الأمين
■ نائب رئيس التحرير: بيار أبي صعب
■ مديرا التحرير: إيلي شلهوب، وفيق قانصوه
■ مجلس التحرير: محمد زبيب، حسن عليق، إيلي حنا، أمل الأندري، شربل كريّم
■ صادرة عن شركة أخبار بيروت
■ المكاتب بيروت - فردان - شارع دونان - سنتر كونكورد - الطابق السادس
■ تلفاكس: 01759500 01759597
■ ص.ب 113/5963
■ الإعلانات الوكيل الحصري ads@al-akhbar.com 01/759500
■ التوزيع شركة الأوائل 15- 01/ 666314 - 03 / 828381
■ الموقع الالكتروني www.al-akhbar.com
■ صفحات التواصل
/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/alakhbarnews-paper